وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمي
المركز الجامعي مرسلي عبد الله - تيبــازة -
معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الاجتماعية

د/ غماري
فوزية
د/ بوالقمح
نزيهة

محاضرات مدخل إلى علم النفس (تابع)
المحور الثاني/ مدارس علم النفس

المحاضرة رقم 4 (الجزء الأول)

سبق وأشرنا في المحاضرات السابقة أن موضوع علم النفس هو من بين أهم المواضيع في شتى ميادين العلم و المعرفة، فهو العلم الذي يتناول بالدراسة سلوك الكائنات الحية لاسيما الإنسان، فيحاول فهمه ويفسر سلوكه ويتنبأ ثم يتدخل ليعالج، ليدعم ليغير من سلوكه في إطار البيئة التي يعيش فيها ويتعامل مع مختلف جوانبها.

يقول "ايمرسون" Emerson **الحياة عبارة عن مجموعة مفاجئات، و ليس من اللائق أن نأخذ أو نراعي إذا كانت غير ذلك....** نستنتج من خلال هذه المقولة أن علم النفس هو العلم الذي يقدم لنا بعض الحلول لبعض المشاكل التي تعترض سبيلنا يوميا، و يخفف قدر الإمكان من مصاعب و مشاكل العصر، وهذا عن طريق محاولة فهم المشاكل و طرح حلول ممكنة....كما أن علم النفس يتعرض لمواضيع مختلفة كالاستشارة و التعلم و الاكلينيكي و النمو النفسي..إلى غير ذلك و هدفه هو مساعدة الانسان بصفة عامة للتغلب على مصاعب الحياة و تحسين وضعيته الاجتماعية بجعله عضوا فعالا في مجتمعه بدل أن يكون عالة عليه. (بتصرف 'عبيدي' 2000).

و نضيف إلى ما قدمه عبيدي(2000) أن مساعدة الأفراد على تخطي مشكلاتهم وأزماتهم النفسية وتقديم الدعم و العلاج النفسي، و تشخيص الاضطرابات و البحث في أسبابها و وضع خطط علاجية لها، يقوم بها المختص النفسي بأسلوب علمي ومنهجي و ليس من وحي خياله أو تجاربه الشخصية، بل بالاستناد دائما إلى خلفية علمية تتمثل في نظريات أو ما يسمى بمدارس علم النفس التي ساهمت في بروزه كعلم مستقل بذاته.

هذه المدارس هي التي وضعت حجر الأساس لعلم النفس وأسست لقواعده المتينة من خلال أهم المبادئ التي تقوم عليها، كنظرتها للإنسان و طبيعته، و تفسيرها لسلوكه الذي هو

كل نشاط يصدر عن الكائن الحي وكذا تفسيرها للاضطراب النفسي و تقديم تقنيات و فنيات علاجية ملائمة لمختلف المشاكل النفسية.

و فيما يلي سنتعرض بشيء من الشرح المختصر لبعض من المدارس الأساسية في علم النفس وهي كل من مدرسة التحليل النفسي، المدرسة السلوكية، المدرسة المعرفية، و المدرسة الإنسانية . و سنحاول أن نقدم أهم المفاهيم التي تقوم عليها والتي من خلالها يتم تفسير السلوك و تقترح أساليب علاجية ملائمة له، حسب الطرح و الاتجاه الذي يتبناه أصحاب هذه النظريات .

1-المدرسة التحليلية:

تعتبر مدرسة التحليل النفسي من أهم المدارس في علم النفس، فهي القاعدة التي قدمت من خلال نظرتها للإنسان ومراحل نموه، وتفسيرها للاضطراب النفسي، وتحليلها للسلوك الإنساني بالاعتماد على معايير ثابتة قامت عليها النظرية و كذا تقديمها للعلاج النفسي باعتماد فنيات علاجية ملائمة.

وظهور هذه المدرسة في أوائل هذا القرن لم يكن صدفة و إنما نتيجة للإهمال الذي وقع في ميدان الأمراض النفسية، سواء في ميدان الطب أو في ميدان علم النفس بحد ذاته، فقد كان العلماء ينظرون إلى الأمراض النفسية على أساس أنها تعود إلى الوراثة بمعنى أن الخلل الواقع عند الانسان راجع إلى تكوينه الوراثي، ومن هنا يكون العلاج صعبا و خاصة إذا سلمنا بهذه المقولة، فالعلاج لا يكون عن طريق العلم وإنما يكون عن طريق الشعوذة والتعويذات و الخرافات والأذى الجسمي كما حدث في القرون الوسطى حيث كان المريض النفسي يضرب ضربا مبرحا، و يعزل عن الناس في زنزانات غير ملائمة بالإنسان ككائن حي يجب أن يحترم ويكرم، و بعد ظهور علم النفس كعلم مستقل عن الفلسفة بدأت الأفكار و الآراء تتبلور و تتوضح لدى العلماء ، و من هؤلاء العلماء "فرويد" Freud (1856-1939)

لقد استغرق تطوير نظرية "فرويد" مدة تزيد عن الخمسين عاما (1886- 1939) حيث تناول خلال مسيرة حياته الكثير من الأفكار التي استمر في تطويرها و التنازل عن بعضها و تأكيد بعضها الآخر في فترات لاحقة.

لقد درس "فرويد" مع "برور" Breuer (1842.1925) إحدى حالات الهستيريا و اتضح من خلال تلك الدراسة أن هذه **الأعراض الهستيرية** إنما هي **نتيجة إخفاء بعض الذكريات و كبتها**، و إفشاء هذه الذكريات و الأحداث المرتبطة بها عند الطبيب الذي يعالج المريض يمكن أن يؤدي إلى زوال تلك الأعراض، كما اعتقد مع "برور" Breuer بأن الاضطرابات الانفعالية المؤلمة هي أساس الاضطرابات الهستيرية.

استعمل "فرويد" كذلك مع "شاركو"Charcot (1825.1893) التنويم المغناطيسي في معالجة هذه الحالات إلا أن " فرويد " انتهى بانتقاد هذه الطريقة و رأى بأنها غير مجدية

في كثير من الحالات وتعترضها صعوبات، إلى جانب رفض بعض المرضى استعمال هذه الطريقة معهم.

لقد أكتشف "فرويد" أهمية التنفيس الانفعالي وقام بتطويره كبديل للتنويم المغناطيسي، وخلال علاج بعض الحالات الهستيرية وصل إلى قناعة بأن الخبرات الانفعالية المؤلمة المؤدية إلى الاضطرابات الهستيرية ترتبط بخبرات جنسية مؤلمة في الطفولة.

اعتمد "فرويد" في تقديمه للعلاج على طريقة التحليل النفسي، و هي طريقة تعتمد أساسا على التداعي الحر Free association وتشمل الأفكار و الذكريات عن طريق الاسترخاء على اريكة، و يبدأ المريض في سرد كل أفكاره و ذكرياته الجميلة منها والسيئة أو البشعة، و كل ما هو تافه و حتى إذا كانت هناك ذكريات مخزية أو أشياء مخالفة للعرف و التقاليد و الآداب، في هذا الوقت يقوم المحلل بتشجيع المريض على التذكر أكثر و سرد كل ما هو في داخله ومن حين إلى آخر يقوم المحلل بتوجيهه إلى ناحية خاصة مما يذكره المريض، بحيث يرى المحلل بأن هناك شيء له صلة بما يخفيه و يكتمه، و بهذه الطريقة يتوصل إلى العوامل الفعالة التي تؤثر في حياة المريض النفسية والتي قد ترجع إلى مراحل حياته الأولى أو في مرحلة مبكرة من حياة الفرد، و من هنا يستطيع المحلل أن يكشف عن الحادثة التي تسببت للمريض في أزمته هذه.

ويرتكز استعمال تقنية التحليل النفسي على تحليل عمليتين نفسيتين تحدثان أثناء العلاج و هما **المقاومة و التحويل** بحيث يكون المريض عادة عاجزا عن استخراج خبراته الماضية نتيجة المقاومة اللاشعورية التي تمنعه من الكشف عن العوامل المتسببة في حالته، وهنا يساعد المحلل النفسي المريض ليتخلص من المقاومة، أما بالنسبة للتحويل فالمقصود منه هو تحويل المريض لمشاعر حب أو كراهية شديدة نحو للطبيب المعالج. (بتصرف عبيدي، 2000) ص36/35)

1-1-النظرة للطبيعة الإنسانية:

كان "فرويد" يرى بأن كل أشكال السلوك ناتجة عن المحددات **الشعورية** و**اللاشعورية**، فسلوك الانسان ليس حرا إنما هو عشوائي وتلقائي إلى حد ما، كما أن المحددات اللاشعورية محكومة بقواعد ولها تأثير على الأفكار والتصرفات أكثر من المحددات الشعورية.

و أكد "فرويد" على أهمية الغرائز في تشكيل الطبيعة الإنسانية، و يرى بأن هذه الغرائز فطرية وهي مجموعتين تتمثل في :**غرائز الحياة أو الغرائز الجنسية، و غرائز الموت.**

أ/ غرائز الحياة أو الجنس: و تشتمل على القوى التي تحافظ على بقاء الذات، و على العمليات الحياتية اليومية، و طاقة هذه الغرائز تسمى الطاقة الجنسية أو الليبيدو Libido .

ب/ غرائز الموت: و تكون وراء مظاهر القوة و العدوان و الانتحار و القتل، فلدى الانسان حسب "فرويد" رغبة لا شعورية في الموت، و هكذا يظهر بأن "فرويد" أكد بشكل كبير على دور العوامل البيولوجية مثل الوراثة و النضج في نمو السلوك الإنساني، كما ركز على فكرة أن سلوك الانسان حتمي بمعنى بأنه محدد مسبقا بالخبرات الماضية و خاصة خبرات السنوات الخمس الأولى من حياة الفرد و بالتالي سيكون من الصعب تغييره. (بتصرف أحمد عبد اللطيف و أحمد عبد الحليم،2020، ص28)

تفسر مدرسة التحليل النفسي السلوك على أساس أنه دوافع فطرية هدفها الوصول إلى غرض معين، و من هنا تركز اهتمامها على دوافع السلوك بإدخال فكرة الغرض في تفسيراتها للسلوك، فمثلا الأحلام و هفوات اللسان و الانحرافات و كل الامراض النفسية ما هي الا دوافع لها أغراض معينة.

و نجد المدرسة اهتمت بدافع لم يكن معروفا عند المدارس السابقة و ركزت عليه كثيرا ألا **وهو اللاشعور**و قالت بأن **السلوك الظاهر في الحقيقة هو نتيجة لعمليات و قوى متصارعة** و كل هذا يتم خارج نطاق الشعور.

و يعود الفضل في اكتشاف اللاشعور، هذا الجانب الغامض من الانسان إلى العالم **فرويد** الذي ركز نظريته على هذا الجانب المهم في تحليله النفسي، و قد شبه اللاشعور بالكتلة الجليدية الضخمة التي يقع الجانب الأكبر منها تحت سطح الماء، أما الكمية القليلة التي تطفو على سطح الماء فقال عنه بأنه الشعور، وعليه فالجزء المخفي لدى الانسان أكثر بكثير من الشيء الظاهر.

ولقد انتبه فرويد إلى هذا الجانب بعدما رأى بأن الانسان يتعرض في حياته اليومية إلى عوامل عدة و هذا ناتج عن احتكاكه مع أناس آخرين و مع بيئته، و كل ما ينتج عن هذا الاحتكاك يكون السبب في كبت كثير من دوافعه، و هذا الكبت يعود إلى المقاومة التي يبذلها الفرد دون أن يشعر و تعتبر رغبة ملحة لشيء ما يريد أن يحققه أو يشبع فيه رغبته، و لكن الحواجز الاجتماعية تحول دون ذلك، فالنتيجة اذن هي منع هذه الرغبات في سيرها في الطريق السليم و من هنا يصل إلى نتيجة و هي أن كل هذه الرغبات و النزعات لا تتلاشى أو تتبخر و إنما تنتقل إلى منطقة أخرى من مناطق الحياة العقلية ألا وهي منطقة اللاشعور وتبقى في تلك المنطقة نشطة و تتهيأ للظهور بصورة أو بأخرى و تستعمل لذلك حيلا مختلفة.

النظرة للشخصية:

قدم فرويد نظرية متكاملة في الشخصية و لقد قسم فيها العقل إلى ثلاث مناطق وهي (الشعور، ما قبل الشعور، واللاشعور)

الشعور:وهي الحالات العقلية التي يشعر بها الانسان في حينه.، و له وظيفة الأعضاء الحسية من حيث إدراك الحالات و الصفات النفسية، و تأتي المواد للشعور من اتجاهين و هما : العالم الخارجي، و المثيرات الداخلية.

ما قبل الشعور/ و هناك من يسميه ما تحت الشعور:

و هي منطقة من العقل لا تكون موجودة عندما يولد الشخص و لكنها تتطور مع استمرار تفاعله مع البيئة و ينظر لها على أنها شاشة تفصل بين الشعور و اللاشعور، كما أنه يأتي خلف مستوى الشعور و هو مكون من الحالات العقلية و الأفكار و الصور الغير موجودة في تلك اللحظة(أي في حينه) بمعنى أن الانسان لا يشعر بهذه الأفكار و الذكريات إلى غير ذلك في تلك اللحظة و لكن يمكن أن يستعيدها.

اللاشعور:

يرى فرويد أن هذه المنطقة تجتمع فيها كل المكبوتات و النزعات الجنسية و العدوانية التي لم تتحقق، والتي كما قلنا تكبت لأنها خارجة عن العادات الاجتماعية الخاصة عند العام و الخاص.

و لقد فسر فرويد الأحلام و قال بأنها تنفيس عن المكبوتات و الأفكار التي لا يستطيع الانسان أن يبوح بها أو يحققها في عالم الواقع، و هذه المكبوتات تجد الفرصة في الأحلام، فعندما ينام الانسان يكون العقل الواعي غائبا فتظهر أو تنشط المكبوتات و الأفكار و الصور و تخاف أن ينتبه إليها عقل الانسان فتأخذ أشكالا رمزية و غريبة حتى لا تكون مشابهة للأصل الطبيعي، و بذلك تكون بعيدة كل البعد عن الحقيقة التي يراها الانسان عندما يستعيد حلمه.

كما يرى فرويد أن الشخصية تساهم فيها ثلاث جوانب لكل جانب صفات و مبادئ و خصائص، تتفاعل فيما بينها لتشكل وحدة متكاملة. و هي (الهو، الأنا، الأنا الأعلى)

الهو و يسمى كذلك (الذات الدنيا)

يعتبره فرويد كمركز في تكوين الشخصية حيث تجتمع فيه قوى الدوافع و الغرائز و التي عادة ما تكون بدائية و عنيفة، و يرى بأن هناك نوعين من الدوافع تتمثل في دافع الحياة و الابداع و الرغبة في تجديد الحياة ويعرف لدى فرويد باسم الليبيدو و هو خاص بالطاقة الجنسية، أما النوع الثاني فيكون خاص بالرغبة في التخريب و التدمير و الموت... و يسمى بغريزة الموت.

و يمثل (الهو) مصدر كل الغرائز و العنصر البيولوجي و هو النظام الأساسي في الشخصية و يحكمه مبدأ اللذة، ووظيفته هي تفريغ و إطلاق الطاقة الموجودة لدى العضوية و المحافظة على مستوى متدن من التوتر، لذلك يسعى (الهو) إلى اشباع الحوافز الغريزية بشكل فوري.

الأنا و يسمى كذلك (الذات الوسطى)

تعتبر الأنا المنظم والمتحكم المتزن بين الهو و الأنا الأعلى، لأنها تحاول كبح جماح الهو أو الذات الدنيا من جهة، وتنظم الذات العليا التي تعتبر متميزة بمبادئها و مثلها الأخلاقية العليا، أي أن الذات الوسطى تعمل كوسيط بين الأول و الأخير، إذ تحاول أن تنظم بين مطالب الهو و الذات العليا حتى يكون توافق بينهم و بين العالم الخارجي، و عليه يمكننا القول ان الانا تخضع لمبدأ الواقع.

الأنا الأعلى و يسمى كذلك (الذات العليا)

يسعى دائما للكمال و ليس إلى المتعة أو الواقعية، و يحاول أن يسيطر و يلعب دور الرقيب، فالطفل مثلا يقوم بتصرفات غير مقبولة و عند حضور والديه يتغير سلوكه و يصبح خاضعا لقواعد المجتمع، و عليه يمكننا القول بأن الذات العليا هي السلطة الداخلية و تتكون من نظامين هما:

الضمير: حيث يتشرب الفرد من خلاله قيم الآخرين.

الأنا المثالي:و الذي يتعلم الطفل من خلاله قيم نفسه.

ويمر نمو الشخصية حسب المدرسة التحليلية نوجزها فيما يلي:

المرحلة الفمية:تكون في السنة الأولى من حياة الطفل حيث يكون المصدر المبدئي للمتعة لدى الطفل هو الفم، و بعض نمو الاسنان يلجأ الطفل للحصول على المتعة من خلال العض.، و تؤثر العلاقة القوية جدا مع أم الطفل فيصبح اعتماديا، أما العلاقة الضعيفة فيطور من خلالها مشاعر عدم الأمن.

المرحلة الشرجية:و تكون في السنة الثانية و الثالثة من حياة الطفل، حيث يكون مصدر المتعة في المنطقة الشرجية، و الإخراج عملية مهمة في حياة الطفل (اكتساب النظافة)، في هذه الفترة تمثل علاقة الطفل بوالديه أمر حاسم فالقسوة تجعله يتجه للتمرد عن طريق احتفاظه بالفضلات أو تطور شخصية تتسم بالبخل و العناد.

المرحلة القضيبية:و تكون بين سن الثالثة و الخامسة من حياة الطفل، و تتسم هذه المرحلة بالاهتمام بالأعضاء التناسلية و زيادة الخيال و الفضول الجنسي لدى الطفل، مع ظهور نمط العلاقة العاطفية والاجتماعية بالوالدين (عقدة أوديب لدى الذكر، و عقدة الكترا لدى الانثى) كما يفقد الطفل شعوره بالهوية نتيجة عقدة أوديب أو الكترا السلبية.

مرحلة الكمون:و تكون بين سن الخامسة و 12 سنة، تتسم باستبدال المشاعر الجنسية بمشاعر المحبة ويقوى الأنا و ينخرط الطفل في نشاطات معرفية في المدرسة، و يميل لقضاء وقت أطول مع جماعة الاقران من نفس الجنس، و يتشرب المزيد من القيم الوالدية و يتشكل لديه مركز الأنا، كما قد يطور الطفل الخجل نتيجة عدم الكفاءة المعرفية، و يميل بعض الأطفال للتركيز على نفس الجنس و الاستمرار بقضاء وقت أكثر معهم.

المرحلة التناسلية:و تكون بين 13 سنة إلى 18 بحيث يظهر فيها التطبيع الاجتماعي و المشاركة في النشاطات الاجتماعية و يحصل على المتعة من خلال العلاقة مع أفراد الجنس الآخر.

ملاحظة:نظرية التحليل النفسي غنية جدا بالمعلومات والمفاهيم والمبادئ القاعدية التي تتحدث على النمو النفسي للإنسان و تتعرض لاهم الاضطرابات التي قد تصيبه في مراحله العمرية المختلفة و تقدم فنيات علاجية تقوم في مجملها على التنفيس الانفعالي و التداعي الحر للافكار، و تفسير الاحلام...

و لمزيد من المعلومات أنصح بالاطلاع على مرجع عبيدي محمد(2000)علم النفس العام دار بوحالة للطبع و النشر،/ و كذا أحمد عبد اللطيف أبو أسعد (2020) كتاب نظريات الارشاد النفسي التربوي، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة .الطبعة الخامسة.